نقيل الأديب

للأستاذ محمد يوسف نجم

١٦٠ — هزو الصلة وأنا العائد

قال القاضي ابن خلكان: كان الملك المعظم شرف الدين عيسى[١] بن الملك العادل على الهمة، حازماً، شجاعاً، مهيباً فاضلاً، جامعاً شمل أرباب الفضائل، محباً لهم، وكان يحب الأدب كثيراً، وله رغبة في فنه، وكان قد شرط لكل من يحفظ (المفصل) للزمخشري مائة دينار وخلعة، فحفظه لهذا السبب جماعة، ولم أسمع بمثل هذه المنقبة لغيره، وكان من النجباء الأذكياء: مرض أبو المحاسن محمد بن نصر (الوزير والشاعر الشهير) فكتب إليه:

انظر إلى بعين مولى لم يزل ... يولي الندى وتلاف قبل تلافي
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه ... فاغنم ثوابي والثناء الوافي

فجاء (الملك) بنفسه إليه يعوده ومعه صرة فيها ثلاث مائة فقال: هذه الصلة وأنا العائد. وهذه لو وقعت لأحد من أكابر النحاة ومن هو في ممارسته طول عمره لاستعظم منه

١٦١ — القيام عند ضرب النوبة

في (زهة الجليس): قال العلامة السيد محمد كبريت المدني: سبب قيام آل عثمان عند ضرب النوبة أن السلطان علاء الدين السلجوقي لما شاهد عزم السلطان عثمان وعلم قابليته[٢] في فتح أطراف تلك البلاد أكرمه وأمده، وبعث إليه الراية السلطانية والطبل والزمر ووسمه باسم السلطنة تقوية ليده وشداً لعضده. فلما وصل إليه ذلك، وضربت النوبة بين يديه قام عند أول سماعه لها على قدميه تعظيماً لذلك. فهم يقومون عند ضرب النوبة إحياء لتلك السنة

١٦٢ — المال ناموس الملك

في (المنهج المسلوك في سياسة الملوك): قد كان يقال: المال ناموس[١] الملك تظهر به هيبته، وتقوى أبهته. حكي أن سابور ملك الفرس اتخذ أعمدة وقواعد من الذهب، وجعلها على باب خزانة المال يجلس عليها الخزنة وغيرهم، فعظم بذلك عند نظرائه وأهل مملكته، فلما أفضت المملكة إلى ولده جعل يفرق الأموال ويسرف في العطايا، فلما نفدت الأموال أخذ تلك الأعمدة وسبكها فوجدها مجوفة قد ملئت رملا فذهب حينئذ ناموسه، وقلت هيبته عند أهل مملكته حين علموا سر هذه الأعمدة. فلهذه المعاني يجب حفظ المال والاحتياط عليه

١٦٣ — فقر أدى الى مصالح الرعية

في (كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم): كان كيقباذ يقول: ليس غرضنا فيما نحتفل فيه من أصناف الزين بالقصور المشيدة والفرش الممهدة والملابس الفاخرة والأطعمة الملونة إلا تزيين أمر المملكة، وتفخيم أسبابها في أعين الناظرين إليها والواردين من النواحي عليها، دون الانهماك في الشهوات، والاستكثار من اللذات. وجدوي شأن المملكة وإقامة مروءاتها عائدة عليها بالمصلحة، وما أدى إلى مصلحتها فقد أدي إلى مصالح الرعية.

١٦٤ — أمارات القيام، ياغرسم هات الطعام

في (التاج ومحاضرات الراغب): كان لكل ملك أمارة يستدل بها أصحابه إذا أراد أن يقوموا عنه، فكان اردشير إذا تمطى قام سماره. وكان الأردوان الأحمر[٢]، وله وقت من الليل وساعات تحصى فاذا مضت جاء الغلام بنعله فقام من حضره. وكان كيشاسف[٣] بدلك عينيه، ويزدجرد يقول: (شَبْ بِشُدْ)[٤] وبهرام يقول: (خُرَّمْ خُسْفاذ)[٥] وسابور يقول: حسبك يا إنسان. وقباذ يرفع رأسه إلى السماء، وأبرويز يمد رجليه. وأنو شروان يقول: قرت أعينكما!

---

(١) هذا الملك الأديب هو الذي تقدم إلى الفتح بن علي البنداري بترجمة (الشاهنامه) راجع الصفحة (٣) الجزء الأول من (كتاب الشاهنامه) للعالم المحقق الدكتور عبد الوهاب عزام.

(٢) القابلية الاستعداد للقبول (التاج) والكلمة ليست مولدة بل متأخرة وكأنها عصرية . . .

(١) يريد بناموس الملك: قوامه وقوته. واللفظة بهذا المعنى مولدة.

(٢) لعل الصواب الأصفر، والأردوان علم على جماعة من ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف بعد الاسكندر (الأستاذ احمد زكي باشا)

(٣) يشاسف (في التاج المنسوب للجاحظ) كيشاسف: معرب كشتاسب (محمد عارف وكيل جمعية المعارف)

(٤) معناه مضى الليل (محمد عارف)

(٥) نام مسروراً (احمد زكي) خرم: المسرور، طيب الوقت مستريح الحال، وخسفاذ: معرب خوش باد (مفهوم . . .) محمد عارف

وكان عمر يقول : قامت الصلاة . وعثمان يقول : العزة لله . ومعاوية يقول[١] : ذهب الليل . وعبدالملك يقول[٢] : إذا شئتم . والوليد إذا قال : أستودعكم الله . والهادى إذا قال : سلام عليكم . والرشيد يقول : سبحانك اللهم وبحمدك . والمأمون إذا استاق على فراشه . والمعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل . والواثق إذا مس عارضيه وتثاءب .

وحكى عن بعض البخلاء أنه سئل: ما أمارتك لقيامنا؟ قال : قولى : ياغلام ، هات الطعام . . .

١٦٥ — الصيد

الصائد : مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد ، ومرتبة على قدر استحقاقها من ذم أو حمد ، وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها وجد أولاها بأن تعده الخاصة نزهة وملعباً ، والعامة حرفة ومكتسباً — الصيد الذى فاتحته طلاب لذة ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر ، وقد اشتركت الملوك والسوقة[٣] فى استجلابه ، واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله ، ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ، وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه ، وهو رائض الأبدان ، وجامع شمل الاخوان ، وداع إلى اتصال العشرة منهم والصحبة ، وموجب لاستحكام الألفة بينهم والمحبة .

١٦٦ — العامل (الوالى) النصرانى فى الدولة الاسلامية

فى (كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لبطريرك سعيد بن بطريق : ولى المأمون (وهو فى مصر) بكام النصرانى عمل بورة وما حولها . وكان بكام إذا كان يوم الجمعة لبس السواد وتقلد بالسيف والمنطقة ، وركب وبين يديه أصحابه ،

(١) فى (العقد) : إذا شئتم . وكان يزيد يقول : على بركة الله

(٢) فى (العقد) : إذا وضعت الخيزرانة وفى (التاج) : إذا ألقى المخصرة وفى (الأغانى) : قال مصعب للشعبى : إذا شئت فقم

(٣) السوقة من الناس : الرعية ، من لم يكن ذا سلطان . سموا سوقة لأن الملك يسوقهم ويصرفهم على إرادته . . . الذكر والأنثى والواحد والجمع فيه سواء ، وجمعه سوق (بضم ثم فتح) وأما أهل السوق فهم سوقيون واحدهم سوقى (النهاية ، اللسان ، التبريزى)

قلت : السوقة لفظة مكررة وميراث خبيث من زمان الجاهلية . وإنما عد الاسلامية أولئك (السائقين) عبيداً وأجراء كما قال عمر : (من ولى من المسلمين فهو عبد المسلمين) وكما قال أبو مسلم الخولانى لمعاوية (السلام عليك أيها الأجير) وبيت صاحب (اللزوميات) مشهور

فاذا بلغ المسجد وقف ودخل خليفته . وكان مسلماً يصلى بالناس ويخطب باسم الخليفة ويخرج إليه .

١٦٧ — من نبأ الورقاء أنه محلكم حرم

قال أبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر الدين : إنه حضر درس الامام فخر الدين الرازى يوماً وهو يلقى الدروس فى مدرسته بخوارزم . ودرسه حافل بالأفاضل واليوم شات وقد سقط ثلج كثير ، فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح[١] ، فلما وقعت رجع عنها الجارح خوفاً من الناس الحاضرين فلم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد فلما قام الامام فخر الدين وقف عليها ورق لها وأخذها بيده ، قال شرف الدين : فأنشدته فى الحال :

يا ابن الكرام المطعمين (نبرعا) فى كل مسغبة وثلج خاشف[٢]
العاصمين إذا النفوس تطايرت
بين الصوارم والوشيج الراعف[٣]
من نبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقائها المستانف[٤]
لو أنها تحبى بمال لاثنت من راحتيك بنائل متضاعف

١٦٨ — ارقص للقرد فى زمانه

فى (وفيات الأعيان) : لما ولى جلال الدين الزينبى الوزارة دخل عليه هبة الله بن الفضل بن القطان — الشاعر المشهور — والمجلس محتفل بأعيان الرؤساء ، وقد اجتمعوا للتهنئة فوقف بين يديه ، ودعا له ، وأظهر السرور والفرح ، ورقص[٥] .

فقال الوزير لبعض من يفضى إليه بسره : قبح الله هذا الشيخ فانه يشير برقصه إلى ما تقول العامة فى أمثالها . أرقص للقرد[٦] فى زمانه

(١) الجوارح ذوات الصيد من السباع والطير

(٢) خشف الثلج (فهو خاشف) وذلك فى شدة البرد تسمع له خشفة (صوتا) عند المشى (اللسان)

(٣) الوشيج : الرماح . فى الأساس : من المجاز : قنا رعاف ، ورماح رواعف (٤) المستانف بلا همز ضرورة

(٥) ومن قول بن القطان هذا :
كل من صفق الزما ن له قت أرقص

(٦) ابن عنبة الاشبيلى :
أصبحت فى (الدهر) مستضاما أرقص فى دولة القرود